(الإسلام في القرآن)

قال الله تعالى في سورة آل عمران ١٩ (إن الدين عند الله الإسلام) وقال فيها ٨٥ (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) وقال فيها ١٠٢ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

أقول إن المراد من الإسلام هنا معناه اللغوي أي الاستسلام لله تعالى والانقياد والخضوع إليه وحده الذي يدخل فيه جميع الأديان الحقة لا خصوص الإسلام بمعناه المشهور والمعروف بدليل أن القرآن قد نسب الإسلام وأسنده إلى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد نسبه إلى نوح في سورة يونس ٧٢ (وأمرت أن أكون من المسلمين) وإلى إبراهيم في آل عمران (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) وإليه أيضا في البقرة ١٣١ (أسلمت لرب العالمين) وإليه وإلى إسماعيل وذريتهما في البقرة أيضا ١٢٨ (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وإليه وإلى يعقوب في البقرة أيضا ١٣٢ (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون) وإلى يوسف في سورة يوسف ١٠١ (توفني مسلما وألحقني بالصالحين) وإلى موسى وقومه في سورة يونس ٨٤ (وقال موسى لقومه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وإلى بني إسرائيل حينما أدرك فرعون الغرق (حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) وإلى موسى ومن آمن به من سحرة فرعون في سورة الأعراف ١٢٥ (ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وإلى عيسى وحواريه في آل عمران (قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا به وأشهد بأنا مسلمون) وإلى أهل الكتاب عموما من يهود ونصارا في القصص ٥٣ (إنا كنا من قبله مسلمين) أي من قبل القرآن وإلى محمد في سورة المؤمن ٦٦ (قل إني لنهيت أن أعبد الذي تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين) وإليه أيضا في يونس ٧٢ (وأمرت أن أكون من المسلمين) وإلى أمة محمد في الأنعام ٧١ (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وإليهم أيضا في الحج ٧٨ (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) إلى غير ذلك من الآيات التي تصرح بأن جميع الأنبياء والمرسلين وجميع أممهم المؤمنين قد كانوا مسلمين ولذلك قال تعالى في آل عمران ١٩ (إن الدين عند الله الإسلام) أي الدين العام المنزل على جميع الأمم هو الإسلام لله وحده وقال أيضا في آل عمران (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) أي ومن يبتغ له دينا غير الانقياد والاستسلام إليه تعالى فلن يقبل منه. وقال فيها أيضا ١٠٢ (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أي مسلمون لله منقادون إليه.

وهذا هو غير تفسير المفسرين حيث أنهم يفسرون الإسلام في الآيات الثلاثة المتقدمة بخصوص دين محمد (ص) كما فهم بعضهم أي بدين الإسلام المعروف الخصوص بتعاليمه وأحكامه وتكاليفه وفرائضه الخاصة، ولكن لو كان المراد ذلك لكانت هذه الآيات الثلاثة مناقضة لبقية الآيات التي ذكرناها ولكانت أديان جميع الأنبياء غير مقبولة عند الله وهذا مما لا يصح أن يقال وعليه فقد لزم أن يكون المراد من الإسلام في هذه الآيات الثلاثة كما هو المراد منه في الآيات الأخرى وهو الإسلام اللغوي أي الإسلام إلى الله تعالى الموجود في جميع الأديان وأن يكون معناها أن دين الله العام هو الإسلام إليه وأنه تعالى لا يقبل من أحد ما غير هذا الدين.

وهذا لا ينافي أن دين الإسلام الخاص الموجود ضمن القرآن بتعاليمه وأحكامه وتكاليفه وفرائضه الخاصة يجب أن يكون الآن هو دين عموم الخلائق جمعاء لأن كل دين من الأديان قد كان كذلك في زمنه حيث أن عموم الأديان في جميع الأزمان هي الإسلام كما هو صريح القرآن وأنه لا فرق بين دين ودين إلا في بعض الطقوس والأحكام التي تتغير بتغير الزمان. وإنما اشتهر دين محمد (ص) بلفظ (دين الإسلام) لأن محمدا وأتباعه هم أكثر الأمم استسلاما لله وانقيادا له وأن تعاليمه كلها ومبادئه وغاياته أكثر انطباقا على الانقياد والاستسلام لله من سائر الأديان. أما الاعتقادات والتعاليم والأحكام العامة فهي واحدة في جميع الأديان كما قال عليه الصلاة والسلام (أنا معشر الأنبياء ديننا واحد) ثم تلا قوله تعالى في شورى ١٣ (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) وفي معنى هذه الآية التي تلاها الرسول عليه السلام في هذا المقام قوله تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) وقوله أيضا في البقرة ١٣٣ (قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقوله أيضا في المؤمنين ٥٢ (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقوني فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) فالحقيقة والواقع أن جميع الأديان واحدة في عقائدها وأصولها وتعاليمها وآدابها ومبادئها وغايتها لا تختلف عن بعضها

إلا في الشيء اليسير من الطقوس وبعض الأحكام التي لزم تغييرها وتبديلها حسب تغير وتبدل الحال والزمان وإن جميع هذه الأديان يصح أن يطلق عليها لفظ الإسلام.

وذلك صح أن يقال (إن الدين عند الله الإسلام) وصح أن يقال أيضا (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) وان يقال (ولا تموتن إلا وانتم مسلمون) ولكن أتباع كل دين هم الذين غيروا وبدلوا في دينهم حتى أخرجوه عن حقيقته وأصله وبدلوه باعتقادات وخرافات لا أصل لها في ذلك الدين حتى شوهوا وجوه الأديان وفرقوا بينها وجعلوها متغايرة متباينة متنافرة متناقصة بسبب الجهل بحقائقها وعدم الوقوف على أغراضها ومقاصدها وبمساعي ذوي الأغراض والسياسات من أحزابها وأهلها حتى فرقوا بين الناس وجعلوهم أشياعا متقاطعة وأحزابا متنافرة وأمما متناكرة فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون، وكل منهم يدعون أن معتقده وما هو عليه الحق وما سواه الباطل.

ولو أن الناس يريدون أن يستعملوا عقولهم في فهم الأديان ويحبون أن يطالعوا القرآن بتفكر وإمعان لعلموا أن دين الإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام لا خلاف بينه وبين حقائق وأصول سائر الأديان إلا في بعض الطقوس والأحكام التي تغيرت بتغيير الزمان بسبب تدرج الإنسان إلى الرقي والكمال ولعلموا أيضا أنه مصدق لها. قال تعالى في النساء ٤٧ (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) وقال أيضا في المائدة ٨٤ (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) ولعلموا أيضا أنه بالنظر لكونه وجد بعدها فقد وقف على ما غيرته يد الزمان منه ومحص حقها من باطلها وميز صحيحها من فاسدها فأقر الحق الصحيح صدقه، وأزهق الباطل الفاسد ومزقه، وأصبح المهيمن عليها الحافظ لها الداعي لصحيحها وأحسنها المكمل لأحكامها المتمم لأعمالها.

ولعلموا أن محمدا عليه الصلاة والسلام بدعوته الناس كافة إلى دين الإسلام والأمم عامة إلى إتباع القرآن إنما يدعوهم إلى أصل أديانهم وإى حقيقة كتبهم كما قال تعالى في الجاثية ٢٧ (كل أمة تدعي إلى كتابها فجميع الأديان هي الإسلام وكل الكتب في ضمن القرآن (كل الصيد في جوف الفرا) قال تعالى في الأنعام ٣٨ (وما فرطنا في الكتاب من شيء) فالمسيحي إذا صار مسلما لا يكون قد ترك الدين المسيحي بل بقى عليه وزاد عليه شيئا آخر لأن الإسلام قد اشتمل على الديانة المسيحية مع زيادة بعض الأحكام التي دعى إليها ارتقاء الزمان وتقدم مدارك الإنسان كما اقتضته سنة الله في النشء والارتقاء التي هي في النوع الإنساني أظهر منها في سائر الأحياء.

(الوجه المعقول في أن محمدا هو خاتم الرسل

(وأن شريعته للناس كافة إلى انتهاء العالم)

كان مثل موسى عليه السلام في تربيته العالم الإنساني كمثل من يربي الطفل إلى وقت التمييز ومثل عيسى عليه السلام كمثل من يربيه من وقت التمييز إلى وقت البلوغ مثل محمد عليه الصلاة والسلام كمثل من يربيه من وقت البلوغ إلى النهاية.

وكما أن الإنسان عند بلوغه وكمال عقله وتمام رشده إذا تربى تربية حسنة لا يحتاج إلى مربي آخر فكذلك العالم الإنساني لا يحتاج إلى مرب آخر بعد الإسلام إذ أن الإسلام قد فتح للعقل الباب على مصراعيه لينظر الإنسان ويتفكر، وليتذكر العاقل ويتدبر، كما هو مصر بذلك في كثير من آيات القرآن. فتعاليم الدين الإسلامي كلها مرتبطة بالعقل والتفكير والتدبر والتبصر ولهذا فأن العالم قد بلغ بظهور الإسلام وبفضل تعاليمه العقلية الغاية القصوى في الأمور الدينية والمدنية لأن هذه التعاليم صالحة لسعادة الإنسان في كل الأحوال ومساعدة على رقيه في كل الأزمان والأعصار وفي جميع الأمكنة والأمصار وأصبحت هي النظام لتربية العالم الإنساني عند بلوغه سن الرشد وكمال العقل ووقت استعداده التام إلى التفكر والنظر ولذلك قال تعالى في المائدة ٤ (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) وقال أيضا في الروم (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا بديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وإذ قد ثبت لك أن الإسلام هو دين الفطرة والخلقة والعقل والوجدان وأن جميع الكتب في ضمن القرآن الذي أكمل الله به سائر الأديان علمت وجه كون محمد عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء وأن شريعته باقية إلى يوم الفناء لأنها مع كونها قد اشتملت على خلاصة وزبدة الأديان التي قبلها فإنها أيضا قد مشت مع الفطرة والعقل جنبا إلى جبن وحينئذ فلا داعي لشريعة فوق العقل أو دونه ولا لشريعة تخالف الطبيعة والخلقة والفطرة وحينئذ فالواجب على أرباب الفطرة والعقول والبصائر، وإلى الألباب والأفئدة والضمائر، من كل الأديان والأجناس والعناصر، أن يطالعوا القرآن بتفكر وإمعان وأن يوازنوا بين ما فيه وبين ما في سائر كتب الأديان الموجودة الآن، وعقولهم وضمائرهم كفيلة بإظهار الحقيقة على وجهها ومعرفتها بكنهها فيعلمون أن الإسلام في القرآن هو الكافل لسعادة الإنسان في جميع الأزمان.